

تركة الماضي وشرعية التساؤل

ابراهيم الخطيب

الثقافة الجديدة : الاخ ابراهيم الخطيب . انت واحد من الذين عرفتهم لدراسات ومجلات النشاط النقدي في المغرب والنشاط الثقافي بصفة عامة . نريد ان نفتح معك حوارا حول الوضع النقدي بالمغرب ، وحول بعض القضايا التي تلامس كتاباتك النقدية بالدرجة الاولى . في البداية نقترح ان يبدأ حوارنا حول ما عرفته الصحافة الوطنية في السنة الماضية حول الوضعية النقدية في المغرب من صراع شارك فيه مجموعة كبيرة من المثقفين ودام فترة طويلة ، اتخذ خلالها ابعادا ربما كانت ذات دلالات ليست بالضرورة امنية ، نريد ان نعرف رأيك في هذا الموضوع ، خاصة وان النقاد المهتمين بالمسألة لم يشاركوا في هذا الصراع النقدي ؟

ابراهيم الخطيب : اعتقد ان ظاهرة الصراع النقدي الذي عرف في السنة الماضية هي ظاهرة وقتية تتكرر ، ربما ، كلما حدثت تغيرات سياسية او هيمنت مواقف على اخرى او حدثت حركة انتقال من مكان ثقافي الى مكان آخر ، الظاهرة من جهة تحاول ان تكون صراعا في اطار نقدي (اذا استثنينا « الجدليات » التي تدور حول نقد الاماكن الثقافية) ولكنها من جهة اخرى تعبر عن صراعات ايديولوجية . غير ان الجانب الايديولوجي ، تبعا للظروف السياسية في المغرب منذ 1970 والى الآن ، يطفئ على جانب البحث في المشكل النقدي . واطن ان السبب الذي جعلني لا افكر بالدخول في هذا الجدل هو انني حربت بعض هذه الصراعات من قبل ، وثبت لي انها لا تكون مجدية بالنسبة للمجال الذي نطرح فيه وهو المجال النقدي . لكن من الضروري القول بان هذا الصراع هو عارض لانه لا يضع مفاهيم محددة للنقاش . وكلنا نعرف على انه في بداية السنة الماضية وقبلها بقليل عرفت حركة تنقل بين الصحف والمنابر الثقافية ، وكان طبيعيا لهذه الحركة ان تنتج جدلا وان تنتج صراعا . لكن يبدو ان المشكل ينبغي ان يطرح بطريقة اخرى ، حسب ما اعتقد ، وهو : ماذا يمكن ان نستفيد من مثل هذا الصراع الذي يغطي باطر نقدي ولكنه في جوهره صراع ايديولوجي ؟ يمكن للسوسيولوجيين ان يدرسوا هذه الظاهرة . اما نحن

فيجب ان نقول بان النقد هو الذي يهمننا . وعندما نصل الى هذه النقطة
فإننا نجد أن النتيجة ليست بمقدار طموح أولئك الذين ساهموا في تسعير
هذا الوضع . ذلك أن المشكل يبقى هو : مشكل النقد الادبي ، وبالتالي
كيفية وضع وتطوير مفاهيم تخص ممارستنا النقدية في المغرب للادب . هذه
الممارسة التي هي ، بالفعل ، بحاجة الى مفاهيم لانها ممارسة متميزة يتجلى
فيها تجاوز مجموعة من المستويات الادبية ، مستويات غير منسجمة ، بعضها
يبرز بروزا واضحا (الشعر ، والقصة القصيرة) والبعض الآخر يظهر متعفرا
او متخفيا يعوق سيروا بروز النوع الاول (الرواية) . في هذا الاطار ، إذن ،
نعتمد ان تنمية مفاهيم خاصة بالنقد الادبي ، تستمد بالطبع من النظرية
العامة للادب (وليس من سوسيولوجية ادبية متجاوزة او من تأويل تاريخي
مزعوم لتسلسل الاشكال) أمر حيوي جدا ، ذلك ان البحث العلمي - حتى
على مستوى الكتابة الصحفية - انما يمكن ان يتطور اذا تطورت المفاهيم
الخاصة لكل ممارسة على حدة .

الثقافة الجديدة : اذا سمحت ، حسب التوضيح الذي طرحته فان هذا
الصراع لم يكن في أساسه وعمقه حول المصطلح النقدي او حول منهج نقدي
يطرحه ناقد او طرحه جماعة من المثقفين يريدون ان يقدموا لنا تحولا نوعيا
في الوعي النقدي بالمغرب . وانما كانت هناك اسباب ، مهما كانت أساسية
في حياتنا العامة ، لكنها بالنسبة للنقد هامشية . هل تعتقد أن ظاهرة مناقشة
القضية النقدية ، بعيدا عن الوضع النقدي بالدرجة الاولى ، يشكل في حد ذاته
ازمة نقدية في المغرب ؟ وللتوضيح : هل ان هذا الصراع الذي يمكن ان نسميه
مفتعلا في كثير من جوانبه هو انعكاس لوعي نقدي حقيقي ؟

ابراهيم الخطيب : يجب ان اوضح بأن « الأسباب الأساسية » هي
ليست هامشية بالنسبة للنقد ، ولكنها لا تكون في مكانها المناسب . وأظن
انه توجد لدينا تجارب سابقة ، اثبتت ، وطيلة سنوات اعتقد انها كثيرة ،
ان المفاهيم النقدية كثيرا ما تغفو مفاهيم ثانوية بالنسبة للصراعات التي
تدور حول مضامين او تأويلات ايديولوجية . أي يحدث العكس . لقد حدث هذا
مثلا بالنسبة لسنة 1954 وبالذات لدى ظهور (الماضي البسيط LE PASSE
SIMPLE) لادريس الشرايبي ، إذ ان حراجه الفترة التاريخية (بداية حركة
المقاومة المسلحة ضد المستعمر ، واشتعال الروح الوطنية) جعلت المهتمين
بالادب ، وغيرهم ، ينظرون الى هذا النص نظرة سياسية « فقط » . وكان من
الطبيعي بعد ذلك ان يبقى هذا النص ملعونا وان يخلط ، بكثير من الغموض ،
بين وجوده كنص ادبي يخضع لمفاهيم نسق معين ، وبين الطرف الذي انتج
فيه . ان المسألة ، حقيقة ، يجب أن تحدد بدقة ، فحينما نطرح أنفسنا ،
افتراضا ، كدعاة لمذهب نقدي ، او كأشخاص يريدون ان يتحملوا مسؤولية
الكتابة النقدية في الادب يجب ان نعرف نوعية المجال الذي نريد ان ندخله .

ان المشكل الذي أثير حول (الماضي البسيط) أعتقد انه لا يزال يلقي بظلاله على عموم التجربة النقدية في بلادنا . ان المقصود من هذا ليس منع تسرب « ايديولوجيا الى النقد ، فهناك بدون شك كتابات نقدية تستعمل مصطلحات ايديولوجية وسياسية ولكنها تضع حدودا لمجال عملها . ان المطلوب بالنسبة لنا هو القيام بهذا العمل ولكن في مجال آخر ، يعني في مجال نقدي صرف . غير ان التاريخ ، منذ 1954 وإلى الآن ، لا يزال يفرض على الاجيال نفس المشكل ، وهو : كيف يمكن تحديد مجال للنقد الادبي يعمل بموازاة الصراعات السياسية والايديولوجية ولكنه لا يستمد مفاهيمه من خصوصيات النشاط النوعي للمجاليين الايديولوجي والسياسي ؟ من هذا يمكن أن أقول ان هناك ازمة نقدية ، بل ان هناك معضلا نقديا . لم لا ؟ لانه حتى بعد مرور كل هذه السنوات لم نستطع بعد أن نقيم أسس نقاش نقدي لا يسبح في مجالات متباينة ، كالمجال السوسيولوجي او الايديولوجي او المجال الفلسفي ، وربما حتى المجال الباتولوجي . هذا هو المشكل . وأظن اننا بدانا نعيه ، بدرجة او بأخرى .

المسافة الجديدة : إذن ، الازمة النقدية موجودة ، وهي في رأيك نحسب عن طبيعته المهم التي تعطي لها من قبل بعض المهتمين بالميدان اسفدي والنسبي بصفه عامه في المغرب . من يعبر ان هناك نماذج نسبيه ونقدية سواء في العالم العربي او العالم الغربي نستطيع ان نؤكد لنا مره اخرى بان ازمنا النقدية هي موجودة فقد لا كغياب للبعد او كحضور له ولكن كوعى نسبي ؟ ... بمعنى اننا عندما نقول ان هناك ازمه فهناك في ادماننا تصور للا ازمة . هذا التصور هو ليس تخيلا او افتراضا لشيء غير موجود ، ولكنه في الغالب لشيء موجود في مكان ما ، قد يكون هذا المكان هو المشرق العربي وقد يكون هو اوربا بشكل عام او التاريخ ؟

ابراهيم الخطيب : ان الامر ، في اعتقادي ، لا يتعلق بآثار نماذج محددة وبدون شك من هذه النماذج موجودة ، على سبيل الجهر او الاضمار ، في كياننا الاونطولوجي العام ، فنحن (شئنا لم ابينا) اناء التوتر الذي نتج عن ندخل هويتين . بالطبع هذه النماذج أو المصادر هي ليست بعيدة جدا ، فهي كائنة من جهة في وضعيتنا السياسية ، لكنها كائنة ايضا في نوع التكوين الثقافي الذي تلقيناه خصوصا منذ الستينيات . لقد كان هنالك في الشرق ، وبالذات في مصر وليذن ، حركة نقدية ساهمت الى حد كبير في ترسيخ بعض المفاهيم العامة عن الممارسة الادبية ، وبالضبط عن الممارسة المسخاة « ابداعية » . ومجمل تلك المفاهيم تستقي أصولها من سوسيولوجية أدب نتداخل فيها مفاهيم آتية من علم الاجتماع الغربي ومفاهيم أخرى آتية من علم الاجتماع الاشتراكي . وقد أدى تداخل هاتين المجموعتين من المفاهيم الى بروز فهم نقدي يربط من جهة ، ربطا آليا ، بين الممارسة الادبية والسيرورة

الاجتماعية و التاريخية والسياسية ؛ ومن جهة أخرى ، يعطي للكتب ، في إطاره الفردي ، وضعية تيولوجية ، . شخصيا ، أعتقد ان هذا « التداخل » هو الذي كون وعينا النقدي ، أي حالة تقبلنا للنقد . ونحن حينما كنا نحاول الكتابة كنفاد ، كانت تلك الحالة المهجنة حاضرة في أذهاننا حضورا كابوسيا ولا تزال الى اليوم . غير أنها طعمت حديثا بمصطلحات جديدة تأخذ مصادرها مباشرة ، وبدون واسطة سوسيولوجية ، من علم الاجتماع الماركسي ومن « الجداليات » التي ترتبت عنه ، وبالذات من النظرية السوفياتية لعلم الجمال . بالطبع ، ليس كل النقاد المغاربة تتجاوز في أذهانهم هذه العناصر مجتمعة ، لكنهم واقعون ، بدرجة أو باخرى ، تحت هيمنة التساؤلات الاساسية التي طرحتها هذه الحقبة . وهي تساؤلات اذا كانت تعمم نماذج معينة من التأويل ، فانها ، في اعتقادي ، لم تستطع ان تجيبنا على السؤال الجوهرى ، وهو : ما الذى يميز ممارستنا الادبية ؟ أي ما هي المناهج التي تستطيع أن تبرز لنا خصوصية هذه الممارسة ؟ . لقد شعرنا ، فيما بعد ، بأن تلك النماذج انما تؤدى الى انتاج دائرة طوطولوجية مغلقة ، وما اننا قد وقعنا في البلبلة : فحينما يكون الامر متعلقا بكتابة نقدية تهتم بما هو أدبي خاصة ، تكون النتيجة ، غير المنتظرة ، تاويلا ايديولوجيا للنقد ، لهذا السبب كان من الضروري ، ليس البحث عن مصادر أخرى (فاختيار المصادر هو عملية تاريخية بقدر ما هو عملية مستقلة) ، انما البحث عن أدوات تمكننا من معرفة خصوصيات النظرية الادبية أولا ، ومن جهة أخرى معرفة خصوصية ممارستنا نحن للادب . باختصار نحن في حاجة الى المعرفة . ومن رأبي ، فان المشكل النقدي لم يعد يطرح ، ولم يعد مقبولا أن يطرح ، بواسطة مفاهيم تتعلق بالتأويل وليس بالوصف . هناك تجارب وأبحاث قام بها أشخاص أو اتجاهات ، وكانت تتجه الى تحديد خصوصية العمل الادبي في سياق الممارسة الادبية . ان هذه الاتجاهات معروفة الآن ، ونصوصها موجودة بين ايدينا . غير أن المشكل الاساسي هو ، كما قلت ، ليس مشكل مصدر ، ولكنه مشكل استعمال وملاءمة بين تلك المفاهيم وبين الرضعية الادبية التي دمر بها ، وبالذات وضعية الهجانة التي سبق ان اشرت اليها والتي تتمثل في تواجد اشكل بارزة الى جانب اشكال متعثرة وضعيفة .

الثقافة الجديدة : اذن ، من خلال هذا العرض ، الذي هو تجريبي الى حد كبير ، يمكن ان نقول بانك عرضت أولا ملامح الازمة النقدية بالمغرب كما تستوعبها ، ولكنك في نفس الوقت عرضت للمراحل التي مرت بها في كتابتك النقدية ، فنحن نعلم ان هناك تباينا كبيرا بين ما كتبتة عن تجربة الشاعر (محمد الخمار) وبين آخر ما كتبتة وهو متعلق بدراستك للرواية المغربية . بين الدراسة الاولى والاخيرة نجد اختيارات منهجية : منها الاختيار الاجتماعي (بالمعنى البسيط) ومنها الاختيار المركب الذي تتداخل

فيه الرؤية النقدية مع القراءة السوسولوجية والنقدية للنص . بالنسبة لك ، هل هذا الشكل المنهجي هو مجرد تجاوب مع لحظات نقدية مرت في العالم العربي او الغربي أم أنه صادر عن قناعة عميقة بخصوص سلوك طريق آخر للمنهج النقدي ؟ وبالصبط فإن الكتابات التي قمت بها تظهر لنا أنك أصبحت من المهتمين بأنواع القراءة المنطلقة من الشكل او من البنية . نريد ان نعرف : هل ان هذا الانتقال ، النوعي بالضرورة ، انتقال مفاجيء وعابر ، أم ان هناك خلفيات كانت وما تزال تترصد خطاك ؟

إبراهيم الخطيب : أظن ان ليس بالامر الهين الجزم بأن المشكل المنهجي ، بالنسبة لي ، كان مجرد تجاوب مع لحظات نقدية ، او أنه كان بعكس ذلك ، وليس من الصعب ان نتفق بأن النقد ، خصوصا النقد المعيارى السائد ، هو قراءة بالدرجة الاولى . والواقع أن الاجابة على استفساركم لطويل تقتضي مني استحضارا بطيئا لاشكال متنوعة من الكتابات التي قمت بها ، وان مثل هذا الاستحضار ليضعني في مأزق لانه ليس بالإمكان الآن ، القيام بمراجعة ما . على اية حال ، يمكن ان نعتبر المقال الذي نشر في « أقلام » ، حول (الرواية المغربية المكتوبة بالعربية) منطلقا للتعرض لعدد من الموضوعات التي يطرحها استفساركم . فهذا المقال أردت من خلاله أن اضع على نفسي سؤالا يقع في حدود البحث في الرواية المغربية من جهة ولكنه ، من جهة ثانية ، يقع في حدود المشكل النقدي عامة ، او بالاحرى ، لمشكل ممارستي للنقد بصفة خاصة . والسؤال هو : الى أي حد كانت الرواية المغربية تعبر ، فيما كانت تنمو ، عن واقع سياسي ؟ وكنت أقصد بالتعبير ، هنا ، مدى استجابتها للحظة التاريخية بصفة محددة . ومن خلال القراءة التي تمت بها للروايات التي اعتمدها المقال تولدت لدي قناعة (طبعاً تخص النصوص المقرؤة وليس غيرها) هي ان وعي هؤلاء الروائيين لم يكن منسجماً بصورة مطلقة مع تلك اللحظة التاريخية . لكنني استنتجت ايضا ، رهو ما اعتبره مهما . ان نمو الشكل الادبي المعنى (الذي هو الرواية) قد تعرض لعرقلة ما من طرف ظروف سياسية عملت على ولادة تلك النصوص . غير أن هذه العرقلة كانت تؤدي ، وبصورة معكوسة ، الى بروز اشكال من التعبير جديدة ومتميزة . لكن النص ، او كل نص على حدة ، انما كان يتوفر على بعض هذه الاشكال . قلت ان مقال (الرواية المغربية) يمكن ان يكون منطلقاً لنقاش ... والواقع هو انني كنت اعتبر نفسي دائماً وخصوصاً قبل هذا المقال مجرد قارئ ، لكن في حدود تداخل القراءة مع القائل النقدي . ان القراءة كانت تتنوع مؤثراتها تارة بظروف سياسية ، وتارة أخرى بتأملات شخصية ، والنتيجة هي انني تقلبت ، بالفعل ، في اشكال من المفاهيم واشكال من المناهج وخلال ذلك كانت تعتريني باستمرار تساؤلات تتركز حول « شرعية » استعمال مفاهيم خارجة عن الممارسة الادبية في الممارسة الادبية

وبحول مكانية التوصل الى طريق نقدي يؤدي مباشرة الى قراءة أدبية للنصوص . انني اعتبر ان معظم كتاباتي السابقة كانت محاولات لتأدية بعض النصوص لا غير . وأرى الآن ان اهم خطأ ارتكبت في تلك الكتابات هو عدم تحديد المفاهيم التي انطلقت منها ، هذا وان التوصل الى تلك المفاهيم يفترض تحديد اطار نظري يخص الوظيفة الادبية كما يخص طبيعة انساقها ، وذلك ما لم يكن بالنسبة لي ممكنا في تلك الفترة . لقد صاغ الشكلاوني الروس مثلا قسطة هاما . من المشاكل التي تخص النظرية الادبية ، كما أنه من الممكن الاستفادة من التحويرات التي طرأت على تلك المشاكل من طرف الانشائيين الفرنسيين ... ان هذا الاختيار قد يبدو مرفوضا وربما اعترض عليه من جهات متعددة وبدعاوي مختلفة ، لكنني اعتقد أنه على اية حال اطار نظري وأداة لصياغة المشاكل التي نبحث في اطارها ليس الا . وان القسط الاكبر من العبء ليبقى ، في النهاية ، رهينا بعملنا .

الثقافة الجديدة : لا شك ان التجريب لا يطبع كتاباتك فقط ولكن يطبع مرحلة ثقافية بأكملها في المغرب . هل يمكن ان نقول بعد هذا انك قد وصلت لبعض الهامح النقدية التي لها نوع من القدرة على ان تكون تاسيسا لاختيار نقدي في كتاباتك ؟ وبالتالي هل يمكن - في حالة الايجاب - ان تطرح هذا الاختيار كاقترح بالنسبة للنقاد الآخرين بالمغرب ؟

ابراهيم الخطيب : انني اتفق معك في ان مجمل كتاباتي النقدية يدخل الى حد ما في حدود التجريب . فلقد سبق ان اشرت الى ان معظم تلك الكتابات كانت نتيجة قراءة ولم تكن موضوعة في اطار تساؤلات منهجية محددة . كما اشرت الى ان المطلوب ، اذ ذاك ، او ما كنت اطلبه من نفسي هو ان أوول بعض النصوص . والحال ان تلك القراءات كانت تنتزع بظروف مختلفة وينقاشات متباينة كانت تقع بيني وبين بعض الزملاء ، وفي بعض الاحيان كانت تلك الكتابات مجرد تاملات شخصية تنتج عن قراءة ، وفي بعض الاحيان قراءة واحدة . كتابات تجريبية ، نعم ، لكن هل بإمكانكم ان تقولوا لي متى لا يكون هناك ، بالنسبة للكتابة ، تجريب ؟ انني اعتقد ان الانتقال من كتابة نص الى كتابة نص آخر (حتى ولو كان نقديا) هو خروج من حدود معلومة الى حدود مجهولة او ممكنة . ولهذا فانني اعتبر ان تلك الكتابات لم تكن اعتباطية ، بل انها وضعتني الآن امام مشكل محدد وهو : الى اي حد كانت تلك الكتابات تسهم في وضع تصورات (ولا اقول مفاهيم) تتعلق بالانواع المتباينة لتلك النصوص ؟ بالطبع لا أستطيع ان اضع تجربتي كمرآة ينعكس عليها وضم الثقافة المغربية بصورة مجملة . ان ثقافتنا هي ثقافة معقدة وليس من السهل تركيزها او اختصارها في نموذج او في نماذج معدودة . لكنني ، خصوصا ، اتصور هذه الثقافة وقد طفى عليها الجدل الايديولوجي ، هذا الجدل الذي يخفى ، خفائق معينة والذي يعمل على ترسيخ مفاهيم لحساب مفاهيم

أخرى . ان المرء ليصاب بذهول ، أحيانا ، من كثرة المفاهيم الايديولوجية المطروحة على سطح النقاش الأدبي والنظري بوجه عام . لكننا نصاب بخيبة أمل عند ما نلتفت الى الحقل الأدبي ، اذ لا نجد شيئا كثيرا يخص تجربتنا الادبية . وقد نتج عن هذا الوضع ، بالطبع ، تماظم في حجم الدراسات والمقالات ذات المحتوى الايديولوجي : وفي المقابل تضائل في الدراسات و المقالات التي تهتم بالانواع الاتفاقية كالرواية أو الشعر أو القصة القصيرة الخ . ان هذا الوضع هو الذي يجب ان يضع على كل واحد منا السؤال وان يحمله مسؤولية تحليله والاجابة عليه . هذا السؤال ليس من المفروض ان ينطلق من قناعة منهجية وانما من معاینته فحسب . يبقى بعد ذلك المحتوى المنهجي للاجابة . وبالنسبة لي ، فيجب ان أقول بأن الامر لا يتعلق بتحديد اختيار منهجي (فهذا العمل سهل وساذج) ولكن بالتوصل الى أدوات نظرية . وأظن انني تعرضت الى هذه النقطة من قبل .

الثقافة الجديدة : هذا المشكل الذي طرحته في النهاية مهم جدا ، وهو يجعلنا نعيد النظر ليس في وضعنا الحالي فقط ولكن في وضعنا النقدي ماضيا وحاضرا ومستقبلا . عدم الوضوح في المنهج بالنسبة لك او بالنسبة للنقد المغربي ككل ليس مفاجئا ولكن الماضي ساهم فيه . وتعني بالماضي التراث النقدي الذي وجد بالمغرب . هناك مجموعة من النقاد المغاربة الذين عرفتهم المساحة الادبية بالمغرب في فترة يقظتنا الوطنية . ولعل من بين هؤلاء النقاد الذي كان لهم عطاء كبير من الناحية الكمية على الاقل : عبد الكريم غلاب . هل كان لعبد الكريم غلاب حضور في وعيك النقدي وانت تتدرج نحو الكتابة النقدية في مراحلها الاولى ثم في مرحلة التساؤل أي في مرحلتك الاخيرة ؟

ابراهيم الخطيب : قد تكون اجابتي مفاجئة اذا قلت انني لم أقرأ كتابات غلاب النقدية الا ما جمع في كتابه (دفاع عن فن القول) . وبضع مقالات نشرت في كتاب آخر له (مع الادب والادباء) . لكن هذا لايعني أنني لم اهتم بغلاب ، فقد كتبت عن كتابه الاول ، كما كتبت عن (دفن الماضي) وعن بعض قصصه القصيرة . وفي وعيي ، فان صورة غلاب كانت تجسد شخصية الناقد الذي فقد الاتصال بالتطور النظري للنقد . وفي هذا الاطار كانت بعض كتاباته عن (السياب) او (البياتي) او غيرها تبدو لي باعثة على الاسف وعموما فقد كنت ، ولا ازال ، انظر اليه كرجل مولع بتبسيط المفاهيم ولا يهتم بطرح اسئلة . ولست اعتقد انه طرح في يوم ما ، خلال كتاباته ، تساؤلا يمكن ان يستقر في وعي استقرارا طويلا . وعلى العكس من ذلك ، فان كتابات أشخاص أقل منه شهرة كانت كثيرا ما تثير انتباهي مثل كتابات عبد الرحمان الفاسي او الحاج احمد بناني او زفزاف و الخوري .

الثقافة الجديدة : اذا كانت القطيعة موجودة بينك (كنموذج من جيل

النقاد الشباب) وبين عبد الكريم غلاب - كممثل لفترة تاريخية ووعي نقدي ظاهر في الستينات - هل يمكن ان نقول بان هناك علاقة بينك وبين بعض النقاد الموجودين الآن في الساحة الوطنية وفي مقدمتهم (ادريس الناقوري) و (نجيب العوفي) . وبالتالي هل هناك علاقة داخلية متبادلة بينكم من حيث التأثير والتأثر؟ وهل المنهج الذي يعتمدونه كل منهما قابل في نظرك الى ان يكون (الى جانب المنهج الذي تؤمن به او الذي تقتنع به على الاقل) ارضية مرحلية لعمل جماعي في الميدان النقدي بالمغرب يستطيع ان يبلور رؤية نقدية متميزة في هذه المرحلة التاريخية ؟

ابراهيم الخطيب : بدون شك هناك ظاهرة تجاوز الكتابات النقدية الموجودة في منابر ثقافتنا . وبدون شك ، كذلك ، هناك ما يشبه التداخل او النوازي فيما بين كتابات مجموعة من النقاد في هذا النطاق . ان هذا التجاور او التداخل ناتج عن تشابه نوع الممارسة (النقد الصحفي) وعن تقارب انواع النصوص (الانتاج الادبي في المغرب في الظرف الراهن) وعن تقارب نوع القنوات السياسية المعلنة . ويمكنني ان اقول بان بعض هذه الكتابات لم تعطني موضوعات للتأمل فحسب وانما ساهمت في دفعي الى طرح بعض الاسئلة . واذكر على سبيل المثال مقالا كان قد نشره ادريس الناقوري في جريدة (العلم) كرد غير مباشر على مقال نشر لي بـ (اقلام) حول رواية (المرأة والوردة) . ذلك ان مقال الناقوري قد وضع يدي على الطبعة العنيفة التي يتميز بها النقد الايديولوجي في وقت كان هذا النقد ، بالنسبة لي ، يمثل الشكل المناسب ، عمليا ، مهد الناقوري بمقاله ذلك لكل التساؤلات التي اعترتني فيما بعد بخصوص وضعيتنا النقدية . بالطبع ان القاري لكتابات الناقوري النقدية سيلاحظ تحولا ملموسا في هذه الكتابات ، من البحث عن خصوصيات ظروف الابداع الادبي وبالتالي خصوصيات النقد . الى الربط بين هذه الخصوصيات والظروف السياسية والايديولوجية ربطا وثيقا . لقد اعتبرت ان مسيرة ادريس الناقوري كانت اشبه بانتقال ، وهذا تاويل شخصي لكتاباته . غير ان الناقوري من حق ان يقول بان المسألة لا تعدو ان تكون تطورا طبيعيا . اما فيما يتعلق بنجيب العوفي فانني أستطيع ان اقول بان مجال الكتابة الذي يبحث فيه ، وأقصد به مجال الشعر ، لا يدخل في اطار المفاهيم النظرية التي اهتم بها ، ذلك ان ما يهمني الآن هو البحث في البنيات الحكائية وليس في الشعر الذي هو ، بالضرورة ، اكثر تعقيدا وبحتم الى حدة طويلة بقراءة النصوص الشعرية . لهذا اشعر انه من الممكن ان نجد ، بيننا ، هذا الناقد ، نقاش في يوم ما (فهو يهتم ايضا بالرواية المعاصرة) ، مثلا ، هذا الاحتمال يكاد يكون غدا ، في حالة تحبب العوفي . اما فيما يتعلق بالعمل الجماعي ، في اطار النقد ، فإن ما اعتقده الآن هو ان

بمثل هذا العمل يمكن ان يكون مثمرا اذا ما توفرت له الشروط الضرورية :
واقصد بهذه الشروط ، التقارب في المنطلقات النظرية والتقارب كذلك في نوع
الاهداف التي تنتوخى جماعة ما للوصول اليها . يبقى ان العمل الجماعي هو
عمل علمي ، منظم داخل هياآت معينة . ونحن ، حاليا ، انما نمارس النقد
الصحفي .

الثقافة الجديدة : لنحاول ان نختم هذا الحوار بناء على المعطيات
الموضوعية الموجودة حاليا بالساحة النقدية بالمغرب . عندنا اساتذة مهتمون
بالنقد في المعاهد العليا والجامعات . عندنا كذلك مجموعة من النقاد الشباب ،
على الاخص ، تساهم في الكتابة النقدية . عندنا بالاضافة الى هذا وذاك لقاءات
ثقافية عامة يكون النقد الشفوي عمادها . امام هذه المعطيات وما تحمله من
نيارات نقدية منها القديم ومنها الجديد ، منها ما ينطلق من أسس ذات علاقة
بالنص الادبي ومنها ما يتركه هامشيا . منها ما هو فاعل بصفة مباشرة ومنها
ما هو فاعل بصفة غير مباشرة في النقد . هل يمكن ان تعطينا تصورك للعمل
النقدي في المستقبل ؟ وهل يمكن ان تطرح صيغة للعمل النقدي تساهم فيه
هذه الاطراف او على الاقل كل الاطراف التي لها قدرة على المساهمة في التحويل
المنتظر ؟

ابراهيم الخطيب : ان هذا السؤال يتيح لي ان اميز شيئا كان يودي
ان اقوله من قبل ، وهو ان البحث في مجال خصوصيتنا على مستوى الممارسة
الادبية لا يجب ان نتصور انه سيحصل فقط من جراء كتابات صحفية . ان
المهمة الملغاة على عاتقنا كبيرة ولهذا فيجب ان نتامل كل تلك الاجهزة التي
يمكن ان تساهم في مثل هذه المهمة . ان الحديث عن النقد الصحفي ، وهو
عمل بالطبع له قيمته ، لا يجب ان يصرف عن اذماننا تذكر بعض الاعمال التي
تنجز على المستوى الجامعي والتي تساهم ، بدون شك ، في طرح هذه
الاشكالية ليس فقط بالنسبة لانتاجنا في الظروف الراهنة وانما حتى بالنسبة
لانتاجاتنا القديمة . انني اذكر في هذه اللحظة بحثا قام به عبد الفتاح كليطو
حول (المقامة) ونشره في مجلة (اسلاميكا ISLAMICA) . فهذا البحث
هو محاولة بالدرجة الاولى لتحديد العناصر الاسلوبية التي تميز المقامة كنوع
ادبي ولكنه من جهة اخرى يحاول ان يدمج هذه العناصر بمجموع الحديث
الادبي في القرن الثالث والرابع الهجري . كذلك لا يمكن ان ننسى كتابات اخرى
انجزت على أصعدة معرفية مختلفة لكنها كان لها فضل صيانة بعض الاشكاليات
التي تطرح على مستوى النقد الادبي خاصة وعلى مستوى النظرية الادبية
عامة ، واعني هنا بالذات كتاب (الرواية المغربية) للخطيب ، وبعض
المقالات النقدية التي نشرت لمحمد بزادة ، وبعض تدخلات أحمد الياقوبي

الخ . ان الإشارة الى هؤلاء الأشخاص تعني ان العمل الجامعي هو احد العناصر التي تساهم بقسط وافر في طرح التساؤلات التي تخص المشكل النقدي . لكن هناك اللقاءات وجلسات القراءة ، التي هي مؤهلة ، بدورها ، وفي حدود الثقة التي تتصف بها ، لوضع ونشر بعض المفاهيم المتعلقة بالنقد . ان هذه الاصعدة مجتمعة يمكن ان تساهم في مجال النقد الادبي ، مع مراعاة خصوصية كل صعيد على حده . ان الغنى الذي ننتظره لمفاهيمنا النقدية هو غنى مزدوج : فمن جهة نحن نريد مفاهيم نقدية تخص ممارستنا للادب . ومن جهة أخرى فنحن نبحث كذلك عن تنوع في هذه المفاهيم مشروط بشروط خصوصيتها .

انجز الحوار : محمد بنيس ، مصطفى المسناوي

مجلة الدراسات العربية والاسلامية
لوحدة التعليم والبحث في لغات الهند والشرق
سكرتير التحرير : عبد الرحمان ايون

توجه المراسلات والكتب والمنشورات والمقالات الى :

CAHIERS D'ETUDES ARABES ET ISLAMIQUES

13. rue de Santeuil - Paris 5^e - France